

تحديات الهندسة المالية الإسلامية

محسن ياسين

Ingénieur d'Etat en Actuariat-Finance de Institut National de Statistique et d'Economie Appliquée (INSEA), Doctorant au Laboratoire d'Analyse et Modélisation des Systèmes et Aide à la Décision

يعتبر مفهوم الهندسة المالية من المفاهيم المتجددة في مجال التعاملات المالية الرامية إلى خلق صناعة مصرفية جديدة تتماشى ومتطلبات متعاملها الماليين، وغالبا ما يرتبط مفهوم الهندسة المالية، في سياق التمويل التقليدي، بالمشتقات. لكن في الواقع، للمصطلح معنى أوسع. فحسب (Finnerty, 2002)؛ الهندسة المالية تشمل تصميم، تطوير، صياغة وتنفيذ الحلول للمشاكل المالية. من وجهة نظر الشريعة، هناك مبادئ أخرى يستلزم احترامها. إذ يشير (Al Suwailem, 2015) إلى أن المؤسسات المالية الإسلامية وصفتها بأنها مجموعة من المبادئ والاستراتيجيات لتطوير حلول مالية مبتكرة في إطار مبادئ الشريعة.

في مجال التمويل الإسلامي، تلعب الهندسة المالية دورا حيويا، إذ يعتبر بقاء وتنمية هذه الأخيرة مرهونا بدرجة الابتكار وأصالة المنتجات التي تقدمها لعملائها. في الواقع، يمكن للهندسة المالية أن تخلق منافذ جديدة، وأن توسع السوق القائمة وتخلق فرصا تجارية تسمح للمؤسسات المالية الإسلامية بتقديم المزيد من المنتجات إلى مجموعة واسعة من العملاء، وكذا تزويد السوق بالعديد من الفرص (Lahsasna & Hassan, 2012). ويشير تطوير المنتجات في التمويل الإسلامي إلى عملية تطوير الأصول من خلال الابتكار والبحث، على شكل منتجات وخدمات من أجل تلبية طلب المتعاملين الماليين مع احترام مبادئ الشريعة الإسلامية أو إعادة تشكيل المنتجات التقليدية القائمة بجعلها متوافقة مع الشريعة الإسلامية.

تتغى هذه الورقة البحثية الى تبين التحديات التي تواجهها الهندسة المالية الإسلامية، على غرار نظيرتها التقليدية، في مواجهتها لتحديات الصناعة المالية الإسلامية.

الهندسة المالية التقليدية والهندسة المالية الإسلامية

هناك مجموعة من التعاريف للهندسة المالية، ولكن التعريف الذي نراه جامعا مانعا هو أنها "التصميم، والتطوير، والتنفيذ، لأدوات وآليات مالية مبتكرة، والصياغة لحلول إبداعية لمشاكل التمويل" (فتح، ٢٠٠٢).

بذلك يشير التعريف إلى أن الهندسة المالية تتضمن ثلاثة أنواع من الأنشطة:

- ابتكار أدوات مالية جديدة مثال ذلك تقديم أنواع مبتكرة من السندات أو الأسهم الممتازة والعادية، وعقود المبادلة، التي تغطي احتياجات منشآت الأعمال .
 - ابتكار عمليات مالية جديدة من شأنها أن تخفض تكاليف المعاملات، مثال ذلك التداول الإلكتروني للأوراق المالية، وابتكار فكرة سمسار الخصم . هذا فضلا عن الأساليب المبتكرة للاستخدام الكفاء للموارد المالية .
 - ابتكار حلول خلاقة مبدعة للمشكلات المالية التي تواجه منشآت الأعمال، مثال ذلك ابتكار الاستراتيجيات الجديدة لإدارة مخاطر الاستثمار، أو أنماط جديدة لإعادة هيكلة منشآت الأعمال للتغلب على مشكلات قائمة، ومن الأمثلة على ذلك عملية تحويل الشركة من النمط المساهم إلى نمط الملكية الخاصة، وتنمية استراتيجيات دفاعية تستخدمها إدارة المنشأة في مواجهة محاولات السيطرة العدوانية من أطراف أخرى .
- أما بالنسبة إلى الهندسة المالية الإسلامية فقد عرفها (فندوز، ٢٠٠٨) بأنها: "مجموعة الأنشطة التي تتضمن عمليات التصميم والتطوير والتنفيذ لكل من الأدوات والعمليات المالية المبتكرة، إضافة إلى صياغة حلول إبداعية لمشاكل التمويل وكل ذلك في إطار توجيهات الشرع الإسلامي" .
- ويلاحظ على هذا التعريف أنه مطابق لتعريف الهندسة المالية التقليدية، غير أنه أضاف عنصرا جديدا هو أنه يأخذ بعين الاعتبار ضرورة أن يكون موافقا للشريعة الإسلامية . وهذا التعريف يشير إلى أن الهندسة المالية الإسلامية تتضمن العناصر التالية:
- ابتكار أدوات وآليات مالية جديدة،
 - ابتكار حلول جديدة للإدارة التمويلية، مثل إدارة السيولة أو الديون، أو إعداد صيغ تمويلية لمشاريع معينة تلائم الظروف المحيطة بالمشروع،
 - أن تكون الابتكارات المشار إليها سابقا، سواء في الأدوات أو العمليات التمويلية موافقة للشرع مع الابتعاد بأكبر قدر ممكن عن الاختلافات الفقهية، مما يميزها بالمصادقية الشرعية .

مناهج الابتكار المالي في البنوك الإسلامية

إذا كان الإبتكار المالي يعتبر من أهم المجالات التي تهتم بها المؤسسات المالية، بعبارة أدوات تجعل البنك يفرض نفسه بشكل فعّال في الاسواق المالية، فإن الأهم من ذلك أن تكون لدى البنوك الإسلامية إستراتيجيات ومناهج واضحة وهادفة تضبط عملية الإبتكار المالي وتجنبها التناقض بين الاهداف النظرية والتطبيق العملي . يمكن أن

يكون للإبتكار المالي عدة مداخل أو مناهج، وهي تتعدد تبعاً للطرق الممكن إستخدامها من قبل البنوك الإسلامية، لآكنها في الغالب تتمحور حول المنهجين التاليين:

منهج المحاكاة: هذا المنهج يعني أن يتم سلفاً تحديد النتيجة المطلوبة من منتج صناعة الهندسة المالية الإسلامية، وهي عادة النتيجة نفسها التي يحققها المنتج التقليدي. ويعتمد هذا الأسلوب على تقليد المنتجات المالية التقليدية مع توسيط السلع، وإدراج بعض الضوابط الشرعية عليه، حيث تكون نتائجه محددة مسبقاً ويؤدي إلى الآثار نفسها التي يؤدي إليها ذاك المنتج. ولعل ما يدعو إلى العمل بهذا المنهج هو وجود عدة مزايا، أبرزها: السهولة والسرعة في تطوير المنتجات، إذ أنها لا تتطلب الكثير من الجهد والوقت في البحث والتطوير، بل مجرد متابعة المنتجات الرائجة في السوق وتقليدها من خلال توسيط السلع. وعلى الرغم من مزايا هذا المنهج إلا أن ثمة سلبيات تواجه تطبيقه والتي منها (غربي، ٢٠٠٩):

- أن الضوابط الشرعية تصبح مجرد قيود شكلية لا حقيقة ولا قيمة اقتصادية من ورائها. وهذا ما يضعف قناعة العملاء بالمنتجات الإسلامية، ويجعل التمويل الإسلامي محل شك وريبة، بل وتصبح تلك الضوابط عبئاً وعائقاً أمام المؤسسات المالية، إذ هي لا تحقق أي قيمة مضافة، بل مجرد تكلفة إضافية. ومن الطبيعي في هذه الحالة أن تحمل المؤسسات المالية هذه التكلفة على العميل، لتكون المنتجات الإسلامية المقلدة في النهاية أكثر كلفة من المنتجات التقليدية، مع أنها تحقق في النهاية النتيجة نفسها.
- إن محاكاة المنتجات التقليدية تستلزم التعرض للمشكلات نفسها، وهذا بدوره يستلزم محاكاة المزيد من المنتجات التقليدية بحيث تصبح الصناعة المالية الإسلامية في النهاية تعاني من نفس المشكلات والأزمات التي تعاني منها الصناعة المالية التقليدية.
- إن المنتج التقليدي هو جزء من منظومة متكاملة من الأدوات والمنتجات القائمة على فلسفة ورؤية محددة، ومحاولة تقليد جوهر هذه المنظومة، يجر الصناعة الإسلامية لمحاكاة سائر أدوات المنظومة وعناصرها، وهو ما يجعل الصناعة المالية الإسلامية مهددة بأن تفقد شخصيتها وتصبح تابعة بالجملة للصناعة التقليدية، وبذلك فإن كل المشكلات التي تعاني منها الصناعة التقليدية ستنقل بدورها إلى الصناعة المالية الإسلامية، وبدلاً من أن يكون التمويل الإسلامي هو الحل للمشكلات الاقتصادية التي يعاني منها العالم اليوم، يصبح مجرد صدى وانعكاس لهذه الأزمات (غربي ٢٠٠٩).

منهج الأصالة والابتكار: ويعني البحث عن الاحتياجات الفعلية للعملاء والعمل على تصميم المنتجات المناسبة لها، شرط أن تكون متوافقة ومبادئ الشرع الإسلامي، أي إيجاد صناعة هندسة مالية إسلامية. وهذا المنهج يتطلب دراسة مستمرة لاحتياجات العملاء والعمل على تطوير الأساليب التقنية والفنية اللازمة لها، وذلك لضمان الكفاءة الاقتصادية للمنتجات المالية، كما يتطلب وضع أسس واضحة لصناعة هندسة مالية إسلامية مستقلة عن الهندسة المالية التقليدية (قروف، ٢٠١١).

من الواضح أن هذا المنهج هو أكثر كلفة من التقليد والمحاكاة، لكنه في المقابل أكثر جدوى وأكثر إنتاجية حيث غالباً ما تكون التكلفة مرتفعة في بداية التطبيق، ثم بعد ذلك تنخفض، هذا من جهة. ومن جهة أخرى فإن هذا المنهج يحافظ على أصالة المؤسسات المالية الإسلامية، كما يسمح لها بالاستفادة من منتجات الصناعة المالية التقليدية ما دامت تفي بمتطلبات المصادقية الشرعية، كما يساعد ذلك على استكمال المنظومة المعرفية للصناعة المالية الإسلامية.

تحديات الهندسة المالية الإسلامية

في هذا السياق يمكن أن نذكر جملة من التحديات التي تشكل عائقاً أمام الهندسة المالية الإسلامية في مواجهتها لتحديات الصناعة المالية الإسلامية كما يلي:

ضعف التنسيق بين الهيئات الشرعية: يعتبر الاختلاف في الفتاوى المتعلقة بالمعاملات المالية بين الدول الإسلامية وفي بعض الحالات في الدولة الواحدة، من طرف هيئات الفتاوى الشرعية، أمراً يصعب اتساع مجال العمل بالمنتجات المالية الإسلامية، لذلك لا بد من توحيد الرؤى الشرعية كمحاولة للعمل على تقارب الفتوى الشرعية، لتجنب الشك وعدم اليقين من طرف المتعاملين الماليين المسلمين.

إن الاختلافات في آراء وتفسيرات الفقهاء للأوامر والمعاملات الاقتصادية قد تعرقل تقدم الصناعة المالية الإسلامية، حيث يعكس عدم التجانس صعوبات التوفيق بين الابتكار المالي والتفسيرات المتباينة لمبادئ الشريعة الإسلامية (Jobst, 2013). في المقابل، إذا تم تناول هذه الاختلافات ضمن مبادئ متفق عليها، فإن ذلك سيوفر بيئة خصبة للابتكار والإبداع. وستعتبر هذه الاختلافات تنوعاً ومجالاً جديداً في تطبيق الشريعة عوض التضارب والتناقض (Al Suwailem & Hassan, 2011).

غياب منهجية محددة لتطوير منتجات التمويل الإسلامي: يعتبر غياب منهجية محددة وواضحة داخل المؤسسات المالية الإسلامية من أكبر التحديات التي تواجه ابتكار وتطوير منتجات مالية إسلامية جديدة. ولهذا

يتم إدخال منتجات إسلامية جديدة من خلال التقليد من البنوك الإسلامية الأخرى، بل الأسوأ من البنوك التقليدية. ومن الجدير بالذكر أن البنوك التقليدية هي في معظم الحالات الرائدة في تطوير المنتجات الإسلامية، وبما أن البيئة في هذه المؤسسات ليست إسلامية فهذه المنتجات تصبح مجرد تكييف بسيط للمنتجات التقليدية بدلا من منتجات إسلامية أصلية ذات قيمة مضافة (Al Suwailem & Hassan, 2011). رغم أن التقليد هو واحد من الاستراتيجيات لتطوير المنتجات الإسلامية، إلا أنه يعتبر استراتيجية الأيسر (Al Suwailem, 2015). وبالتالي فالحاجة إلى الانتقال من التقليد إلى طفرة ثم إلى الهندسة على أساس تلبية احتياجات العملاء ضرورية.

غياب المؤسسات المتخصصة والأسواق المتقدمة: إن المنتجات التي يتم تطويرها في التمويل الإسلامي لن تعمل في فراغ، بل يجب أن تنفذها مؤسسات يكون هيكلها حاسما بالنسبة للمنتجات الملائمة لأنشطتها وأهدافها (Al Suwailem & Hassan, 2011). على سبيل المثال، الاستثمار في الأسهم هو أكثر ملائمة لصناديق رأس المال الاستثماري والمصارف الاستثمارية من البنوك التجارية. وبالإضافة إلى ذلك، فإن المنتجات التي يتم تطويرها في سياق التمويل الإسلامي بشكل عام تعاني من عدم وجود سوق ثانوية مما يمنع منتجات التمويل الإسلامي من الظهور في أجزاء كبيرة من العالم (Ajmi & all, 2014). كذلك في الأسواق المالية الإسلامية، أدوات التمويل محدودة بينما الأسواق التقليدية مجهزة بأدوات مختبرة، جد راسخة، وموحدة. وبالتالي، فإن إدخال منتجات جديدة لم يوافق عليها الفاعلون الرئيسيون في الميدان يصبح أمرا صعبا. نظرية مالية حديثة تقوم على سعر الفائدة: إن النظرية المالية الحديثة والابتكارات المالية التي انبثقت منها تستند إلى حد كبير على سعر الفائدة، والتي أصبحت عنصرا أساسيا في جميع نماذج تقييم الأصول المالية. وهكذا، فإن أي محاولة لتطوير منتجات جديدة دون استخدام سعر الفائدة يعتبر من التحديات الكبرى.

عدم وجود متخصصين في المجال: يعتبر الممارسون في سوق رأس المال التقليدي مدربين تدريباً جيدا، لديهم المهارات والخبرات الفنية الكافية لفهم المخاطر وعوائد الأدوات المالية الأساسية، غير أن الأسواق المالية الإسلامية متخلفة كثيرا في التدريب والبحث، وتفتقر إلى الموارد البشرية المؤهلة (Chakir, 2014).

خاتمة:

لا تزال الهندسة المالية الإسلامية في مرحلة جنينية. ويهيمن عليها إلى حد كبير استراتيجية التقليد وتقودها المصارف التقليدية. حيث يهيمن على السوق المالية الإسلامية أدوات قصيرة المدى مثل عقود المربحة والإجارة

في حين أن لديها عجزا من حيث أدوات إدارة السيولة وإدارة المخاطر. وفي هذا السياق ينتظر من الهندسة المالية الإسلامية أن تقدم منتجات مبتكرة وحلول أصيلة يمكنها أن تتنافس مع المنتجات التقليدية وتفرض نفسها في الأسواق العالمية. وخلافا لما قد يعتقد، فإن المؤسسات المالية الإسلامية تتوفر على اللبنة الأساسية التي يمكن استخدامها لبناء الأدوات المالية الأكثر تعقيدا والتي من شأنها تحسين السيولة وتوفير أدوات إدارة المخاطر. ولتعبئة هذه الإمكانيات ينبغي تشجيع البحث في هذا المجال وإدخال مدونة شريعة عالمية لمواءمة ممارسات الهندسة المالية الإسلامية. من ناحية أخرى، يمكن أن تكون الهندسة المالية التقليدية عنصرا مدمرا للتمويل الإسلامي، حيث يمكن استخدامها للتحايل على قواعد وأنظمة الشريعة الإسلامية.

المراجع:

- مجيد ضياء، "البورصات، أسواق المال وأدواتها" مؤسسة شباب الجامعة، مصر، ٢٠٠٥.
- فتح الرحمان، "أدوات صندوق النقد الإسلامية: مدخل للهندسة المالية الإسلامية". مجلة المصرفي العدد ٢٦، السودان، ٢٠٠٢.
- صالح، فتح الرحمن علي محمد، "مدخل للهندسة المالية الإسلامية"، ٢٠٠٠.
- قندوز، "الهندسة المالية الإسلامية"، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، عدد ٢٠٠٧. ٢.
- عبد الكريم أحمد قندوز "الأزمة الاقتصادية العالمية من منظور الاقتصاد الإسلامي" ٢٠١٠.
- د. منير إبراهيم هندي، "الفكر الحديث في إدارة المخاطر: الهندسة المالية باستخدام التوريق والمشتقات"، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٣.
- عمر ياسين، "دور الهندسة المالية الإسلامية في معالجة الأزمة الاقتصادية والمالية المعاصرة"، جامعة البلقاء- الأردن.
- إبراهيم سامي السويلم، "صناعة الهندسة المالية: نظرات في المنهج الإسلامي" ٢٠٠٩.
- نصار، أحمد محمد محمود "الهندسة المالية وتطوير أدوات الاقتصاد الإسلامي". ٢٠٠٥.
- هاشم فوزي دباس العبادي "الهندسة المالية وأدواتها" ٢٠٠٨.
- فريد النجار، "البورصات والهندسة المالية" الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٩.
- لعمش، "دور الهندسة المالية في تطوير الصناعة المصرفية الإسلامية".
- خصاونة، "الهندسة المالية وأثرها في تطوير الأعمال المصرفية الإسلامية"
- غربي، "الابتكار المالي في البنوك الإسلامية، واقع وآفاق".
- قروف، "الهندسة المالية كمدخل علمي لتطوير صناعة المنتجات المالية الإسلامية"
- حسني علي خربوش، "السوق المالية: بورصة الأسهم والسندات" الأردن، ٢٠١٣.
- عدنان الهندي، "المشتقات المالية: ماهيتها وأنواعها، وطرق إدارة مخاطرها" مجلة الهندسة المالية وأهميتها بالنسبة للصناعة المصرفية العربية، لبنان، ١٩٩٦.
- نوال بوعكاز "حدود الهندسة المالية في تفعيل استراتيجيات التغطية من المخاطر المالية في ظل الأزمة"
- ساسية جدي، "دور الهندسة المالية في تطوير الصناعة المالية الإسلامية: دراسة حالة ماليزيا والسودان"، الجزائر.
- هناء محمد "دور الهندسة المالية الإسلامية في معالجة الأزمات المالية" المؤتمر العلمي الدولي حول "الأزمة المالية والاقتصاديات العالمية المعاصرة" عمان، الأردن، ٢٠١٠.
- مفتاح صالح، "إدارة المخاطر في المصارف الإسلامية". ورقة عمل مقدمة للمؤتمر الدولي حول الأزمة المالية والاقتصادية الدولية والحوكمة العالمية. ٢٠٠٩.

- Al Suwailem, "Hedging In slamic finance, Islamic Development Bank", Occasional Paper No. 10, -
2006.
- Al Suwailem, S. et Hassan, "An Islamic Perspective of Financial Engineering" Islamic Capital Markets -
Products and Strategies. John Wiley and Sons, 2011.
- Ajmi, A.N., Hammoudeh, S., Nguyen, D.K., and Sarafrazi, S., 2014. " How strong are the causal -
relationships between Islamic stock markets and conventional financial systems? Evidence from
linear and nonlinear tests ". Journal of International Financial Markets, Institutions and Money, Vol.
28, 2014.
- Ahmed CHAKIR. l'ingénierie financière islamique: entre les contraintes de développement et les -
risques de derive. Université Ibn Zohr, Maroc.
- Ayub, "Understanding Islamic Finance", John Wiley & Sons. 2007. -
- Eugenio Domingo Solans, " Financial innovation and monetary policy", 2003. -
- Finnerty, J.D. " Financial Engineering in Corporate Finance: An Overview ". Vol.17, No.4, 1999. -
- Iqbal, Z., 1999. " Financial Engineering in Islamic Finance ". Thunderbird International Business -
Review, Vol.41, No.4. 1999.
- Jobst, A., " Derivatives in Islamic Finance: There is No Right Way to Do the Wrong Thing -
Opportunities ". The Journal of Investing, Vol.22, No.1, 2013.
- Hashem F. Al-Ebadi. "Financial Engineering by Focus on Options Form Market Financial-Approach -
Islamic".
- Lahsasna, A. et Hassan, "The Shariah Process in Product Development and Approval in ICM" Islamic -
Capital Markets Products and Strategies. John Wiley and Sons, 2011.